

تفريغ من سلسلة

فصل الكلام في نواقض الإسلام

الصادرة عن إذاعة البيان



مؤسسة البتار الإعلامية

تُقـــدِّم :

- تفريـــغ مــن ســـلســـلة -

فصـــل الكـــلام في نواقض الإســـلام

الصادرة عن إذاعة البيان التابعة للدولة الإسلامية

الحلقـــة الحـــاديـــة عشـــر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره.

ما زلنا وإياكم أيها الأحبة في الله في الحديث عن الشرك في الدعاء والاستغاثة، وكنا قد ذكرنا أنواع الشرك في الدعاء والاستغاثة، ووصلنا إلى مسألة كنا قد قررناها أنّ دعاء الأموات والتوجّه إليهم والطلب منهم شرك أكبر مطلقًا حتى لو سألهم الإنسان ودعاهم بأمر يقدرون عليه لو كانوا أحياء، وسواء كان هؤلاء الذين يطلب منهم ويدعون سواء كانوا أنبياء أو أولياء أو ملائكة أو نحو ذلك فكل هذا الدعاء لهم شرك وعبادة لهم من دون الله.

ولكن بقي أن نذكر أمرًا وهو لو أنّ إنسانًا ذهب إلى قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أو إلى قبر ولي أو رجل صالح ولم يطلب منه مباشرة من هذا الرجل، لم يطلب منه أن يقضي حاجته مباشرة ولم يطلب من هذا المدعو من الأولياء ونحوهم أن يقضي حاجته مباشرة، وإنّما طلب منه أن يسأل الله عز وجل له، يعني طلب منه أن يدعو له، كرجل ذهب إلى قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: "يا رسول الله ادعو الله لنا" أو "استغفر الله لنا" فهذا الفعل هو أيضًا شرك أكبر والآيات بعمومها تدل عليه: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، فدعاؤك أو سؤالك هذا أو طلبك هذا لن يستجاب، ثمّ دعاؤك هذا ليس فيه نفع ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] ، لذلك أيها الأحبة فالصحيح أنّ هذا السؤال شرك وعبادة من دون الله، والعياذ بالله.

ومن هذا القبيل ليحذر المسلم أن يطلب الشفاعة من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن بعض الناس -هداهم الله- يقولون: "اشفع لنا يا رسول الله" أو "الشفاعة يا رسول الله" وهذا عمل محرم شنيع، وشرك أكبر لا يجوز، فالشفاعة لا تطلب إلّا من الله وحده، قال الله تعالى: (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) [الزمر: ٤٤]، فلا يملكها إلّا الله، والواجب أن تطلب الشفاعة ممن يملكها بأن نقول: "يا الله أو اللَّهُمَّ شفّع فينا محمدًا صلى الله عليه وسلم"، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو الآن في البرزخ فمهما طلبنا منه أي شيء فلن يستجيب لنا، وقد ذكرنا في الدرس السابق أنّ الله عز وجل قد سمّى الطلب ممن لا يستجيب شركًا وعبادة من دون الله وعبادة لغير الله.

لذلك لو بحثت فلن تجد صحابيًا واحدًا فعل هذا الفعل أو قال هذا الفعل، فما كانوا -رضوان الله عليه- وهم أحرص الناس على الخير وهم أعلم الناس، ما كان أحدهم يذهب إلى قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- فيقول: "يا رسول الله اشفع لي" أو "يا رسول الله ادعو لي" أو "يا رسول الله استغفر لي" ما كانوا يفعلونه.

مع أنّ بعض أهل البدع المشركين حاولوا أن يستدلوا على جواز الطلب بقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) [النساء: ٦٤] فهذا في حال حياته -صلى الله عليه وسلم- وليس في حال موته بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم، ولو كان في حال موته لذهب الصحابة إلى صبر النبي -صلى الله عليه وسلم- وطلبوا منه أن يستغفر لهم أو أن يدعو لهم.

ومن قبيل هذا الاستدلال استدلال المشركين من المعاصرين والمتأخرين بأحاديث لا تثبت، بأحاديث باطلة منكرة كحديث "يا عباد الله أعينوني" أو "يا عباد الله أجيبوا" أو "إنّ لله خلقًا

خلفهم لحوائج الناس" فكل هذه لا تثبت عن النبي وهي باطلة، والآيات البيّنات الواضحات في كتاب الله عز وجل جاءت مقررة لتوحيد الله ونفي الشرك ونسفه، فكيف لهؤلاء -أهل البدع- أن يردوا الآيات البيّنات المحكمات بآثار باطلة وأحاديث واهية لا تثبت وليس لها سند.

إذا أيها الأحبة من طلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك، ومن طلب من الأموات وتوجّه إليهم ودعاهم فقد أشرك، ومن طلب من الغائبين وتوجّه إليه من الأولياء ونحوهم فقد أشرك.

إذا متى يكون الدعاء لا يدخل في مسمى العبادة؟

يكون الدعاء من الأمور المباحة التي لا تدخل في مسمى العبادة حينما تدعو حيًا بما يقدر عليه، يعني أن تطلب من إنسان حي يسمعك أن تطلب منه أمرًا يقدر عليه، كمثل أن تقول لأخيك أو لأهلك مثلًا: "أعطوني كأس ماء" أو "ائتني بالغرض الفلاني" أو نحو ذلك، فهذا الطلب من الأحياء الحاضرين القادرين هذا هو لا شك سؤال وطلب، ويدخل في مسمى الدعاء لغة إلّا أنّه ليس من باب الدعاء الشرعي، فهذا ليس بعبادة.

وكذا الاستغاثة بالأحياء القادرين على النصرة والإنقاذ فهذا جائز كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، فأن تستغيث برجل حي يقدر على أن ينقذك هذا أمر مباح وليس بعبادة، ولا يدخل في مسمى التألّه والتعبّد.

ومثله -كما قد يسأل بعض الناس- أنّه قد يكون الإنسان في مدينة أخرى فأتصل عليه في الهاتف أو في وسائل الاتصال عن طريق الإنترنت وأطلب منه أمرًا مع أنّه غائب عني، فهذا وإن

كان غائبًا إلّا أنّه أيضًا لا يدخل في مسمى الدعاء، دعاء التألّه والتعبّد؛ لأنه غائب حقيقة إلّا أنّه حاضر حكمًا، فأنت تتحدث معه بالهاتف أو بوسائل النت فهو يسمعك وأنت تسمعه فهذا في حكم الحضور، وهذا ليس من دعاء التألّه إنّما هذا طلب.

لذلك أيها الأحبة ليحذر الإنسان من أن يقع في هذا الشرك، شرك الدعاء والاستغاثة، وهذا الشرك حقيقة من أكثر من وقع فيه من المنتسبين للقبلة الصوفية، فتجدهم أو تجد كثيرًا منهم يدعون مشايخهم وأولياءهم المزعومين ويطلبون منهم ويتوجّهون إليهم بالدعاء كقولهم مثلًا: "مدد يا رفاعي" أو "مدد يا جيلاني" أو "أدركنا يا رسول الله" صلى الله عليه وسلم أو "أغيثونا أو أنقذونا" أو يقول قائلهم: "يا رجال الله" فهذا كله شرك وتوجّه بالعبادة والدعاء والاستغاثة لغير الله، وهذا من الشرك الأكبر الواضح البيّن.

كذلك ما يفعله بعض الصوفية من التعلّق بصورة شيخ الطريقة فتجدهم يعلّقون صورة شيخ الطريقة في بيتهم أو منهم من يحملها لأجل الحفظ، وهذا شرك أيضًا وتعلّق أكبر بغير الله، والعياذ بالله.

كذلك ما قد يقع فيه بعض الجهّال من أنّه يستمد الشفاء من الطبيب أو من السحرة والكهنة والعرّافين فهذا أيضًا شرك إذ الشفاء بيد الله عز وجل، فمن استمده من كاهن أو ساحر أو طبيب فهذا شرك، وهنا لابدّ أن يفرّق الإنسان بين السبب، فلا شك أنّ ذهابك للطبيب من أجل معرفة الداء ثمّ أخذك للدواء هذا سبب للشفاء إلّا أنّ الشفاء بيد من؟ بيد الله عز وجل.

أيضًا بعض الصوفية يعتقد أنّ الأولياء يحمونه وينقذونه وهذا أيضًا من الشرك الأكبر، فالحذر الحذر أيها الأحبة، فهذا شرك أكبر ومخرج من الإسلام وصاحبه في النار، فنعوذ بالله من ذلك.

ولا شك أنّ الإنسان عليه أن يستغيث بالله عز وجل وأن يتوجّه إليه بالطلب والدعاء والسؤال، فيا أيها الحبيب اعلم أنّ الاستغاثة بالله عز وجل ودعاؤه هذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، هذا نوح -عليه السلام- ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]، وهذا إبراهيم -عليه السلام- يدعو ربه: "حسبي الله ونعم الوكيل"، وهذا نبيّنا -صلى الله عليه وسلم- يدعو ربه يوم أحد ويلح في الدعاء حتى جاء النصر والفتح.

فالتوجّه إلى الله بالدعاء والاستغاثة به سبحانه هذا دأب الرسل أيها الأحبة، وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه حالنا، خاصّة مع ما نتعرض له من أهوال ومن تكالب الكفار أن نستغيث بالله عليهم وأن ندعو الله عز وجل وأن نتوجّه إليه أن يحفظنا ويلطف بنا.

ثم اعلم أيها الحبيب أنّ الدعاء هو العبادة كما قال -صلى الله عليه وسلم-: (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ)، والدعاء باب عظيم للأجر وللخير والفضل، وفيه يتجلّى التوحيد، وفيه نسف للشرك، وفيه البراءة من حول الإنسان وقوته، والتوكل على الله عز وجل، واللجوء عليه، والاعتماد عليه سبحانه جل جلاله، ولا شك أنّ الدعاء حقيقة مما يزيد في محبة العبد لله وتعلّقه به سبحانه وتعالى، (إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ).

وهنا مسألة لابدّ أن نذكرها من باب تتميم الفائدة، أنّ الدعاء ينقسم إلى قسمين، الأول دعاء المسألة، والثاني دعاء العبادة.

فدعاء المسألة هو الطلب من الله وسؤاله كأن تقول: "يا رب اغفر لي، يا رب ارحمني، يا رب يسر أمري، يا رب اهدني" ونحو ذلك، أن تطلب من الله عز وجل حاجتك الدنيوية والأخروية، هذا يسمى دعاء مسألة وطلب.

أمّا دعاء العبادة فهو التوجّه إلى الله عز وجل بالعبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج، وجهاد ودعوة، وأمر بالمعروف ونهي عن منكر، ورباط ونحو ذلك من سائر أنواع العبادات، طلبًا لثوابه وخوفًا من عقابه وناره، ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ، فالإنسان لمّا يتوجّه إلى الله بهذه العبادات هذه العبادات حقيقة هي فيها معنى الدعاء وهي دعاء خرج في صورة عبادة.

لذلك فإن العبادات تسمى دعاء، والدعاء يسمى عبادة؛ لذلك فالأقرب أنّ الدعاء والعبادة مترادفان، وإن كان قد يطلق الدعاء على المسألة والطلب إذا اقترن بمسمى العبادة، أمّا إن أطلق الدعاء هكذا مطلقًا فإنّه يشمل كل العبادات وكذلك العبادة إن أطلقت تشمل كل العبادات بما فيها الدعاء.

ولذلك من تأمل في آي القرآن يجد أنّ كثيرًا من الآيات تأتي بلفظ الدعاء، مثلًا: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] ، يعني فلا تعبدوا مع الله أحدًا، ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] لا

شك هنا الدعاء مطلق فيشمل حتى العبادات كأنك تقرأ: "ومن يعبد مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنّما حسابه عند ربه إنّه لا يفلح الكافرون"؛ لذلك الدعاء اذا أطلق يشمل كل أنواع العبادات، وكذلك لفظ العبادة إذا أطلق يشمل العبادات والدعاء، فالدعاء هو العبادة كما قال صلى الله عليه وسلم.

فأكثروا يا عباد الله من الدعاء والتوجّه إليه والانخلاع من الشرك والبراءة منه لعل الله أن يحفظنا بحفظه وينزل علينا ببركته نصرًا، إنّه ولي ذلك والقادر عليه .

وصل اللّٰهُمَّ وسلم وبارك على نبيّنا محمد،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



لا تنسونا من صالح دعائكم

نُشر في:

← الأربعـــــــاء ٢٠ / ٠٥ / ١٤٤١ هـ ←